﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [القصص: 53 - 54]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

بعد الإخبار عنِ الإيمان أكَّد وقوعَه وأتبعَه بالجزاء الحَسَن عليه

لمّا أخبر النَّظمُ الجليل عن كون طائفة من أهل الكتاب يؤمنون بالقرآن قبلَ نزوله، وأنَّ إيمانهم متجدِّدٌ؛ أتبعه ذلك بتأكيد المعنى في هاتين الآيتين، فهم إذا تجدَّدت تلاوتُه عليهم؛ فإنَّهم يبادرون بإعلان الإيمان به، ثمَّ أعقب ذلك ببيان عظيم جزائهم على إيمانهم بالقرآن بعد إيمانهم بالكُتُبِ قبلَه، بأنَّهم يؤتون أجرهم مضاعفًا[1]، مُعْترِضًا بذلك بينَ الحديث عن إسلامهم وبعضِ أعمالهم المنبثقة مِن ذلك الإسلام.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَيَدْرَءُونَ﴾: (درأ) الدَّرْءُ: الدَّفْعُ، يُقالُ: دَرَأ عنه الظُّلْمَ، يَدْرَؤُهُ دَرْءًا ودَرْأةً؛ إذا دَفَعَهُ وأبْعَدَهُ[2]، وتَدارَأ القومُ، أي: تَدافَعوا في الخُصومَةِ ونَحْوِها، واخْتَلَفوا، وكلُّ مَن دَفَعْتَهُ عنك؛ فقد دَرَأْتَهُ[3]، والمرادُ بالدَّرْءِ في الآية: الدَّفعُ بقوَّةٍ، ومعناه: لا يقابلون السَّيئة بمثلها، وإنَّما يعفون، ويصفحون، ويقابلون الكلمةَ الخبيثة بالكلمة الحسَنة[4].

2) ﴿بِٱلْحَسَنَةِ﴾: (حسن) أصْلٌ واحِدٌ، فالحُسْنُ ضِدُّ القُبْحِ، يُقالُ: رَجُلٌ حَسَنٌ وامْرَأةٌ حَسْناءُ وحُسّانَةٌ[5]، والحَسَنُ: نعتٌ لما حَسُنَ،

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 315، والمراغيّ، تفسير المراغيّ: 20/ 71.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (درأ).
(3) ابن دريد، جمهرة اللّغة، وابن سيده، المحكم: (درأ).
(4) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 10/ 420.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حسن).

تَقول: حَسُنَ الشَّيءُ حُسْنًا[1]، والحَسَنَةُ: الفَعْلَةُ ذاتُ الحُسْنِ، صفةٌ مُشبَّهةٌ غلَبت في استعمالِ القُرآنِ والسُّنَّةِ على الطّاعةِ والقُربةِ، فَصارَتْ بمنزلةِ الجَوامِدِ عَلَمًا بالغَلَبةِ، وهي مُشتقَّةٌ منَ الحُسْنِ وهو جمالُ الصّورةِ، ويُعبَّر بها عن كلّ ما يَسُرُّ مِن نِعمةٍ تَنالُ الإنسانَ في نَفْسِهِ وبَدَنِهِ وأحوالِهِ، والسَّيّئَةُ تُضادُّها[2]، والمَحاسِنُ: خِلافُ المَساوِئِ، والحُسنى: خِلافُ السَّوْءَى[3]، والمقصود بالحَسنةِ في الآيةِ: اسمُ جنسٍ يشمل جميعَ ما أمر اللّهُ به ورسولُه مِنَ الأقوال والأعمال الظّاهرة والباطنة، المُتعلِّقة بحقِّ اللّه تعالى وحقِّ عباده[4]، يشمل جميعَ الأفعالِ والأقوالِ الحسنة.

3) ﴿ٱلسَّيِّئَةَ﴾: (سوء) أصْلُ السّوءِ: القُبْحُ، وضِدُّه: الحُسْنُ[5]، والسّوءُ: الشَّرُّ والفَسادُ، يُقالُ: عَمِلَ سوءًا، أي: شَرًّا وفَسادًا[6]، والإساءَةُ: فِعْلُ الشَّرِّ وما يُكْرَهُ، والسيِّئُ والسَّيّئَةُ: عَمَلان قبيحان، يصير السَّيِّئُ نَعْتًا للذَّكَر مِنَ الأعْمال، والسَّيّئة للأُنثى، واللّه يَعْفو عَنِ السَّيِّئات، والسَّيّئة: اسْمٌ كالخَطيئة[7]، والمُرادُ بالسَّيّئة في الآية: الفِعلَةُ القبيحة المَنهيُّ عنها، وأمّا المأمور به، فلا يكون سيّئًا.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يقول اللّه تعالى: وإذا قُرئ هذا القرآنُ عليهم؛ قالوا: آمَنّا به بالقُرآنِ؛ لأنَّه حَقٌّ نزَل مِن عندِ رَبِّنا بالخَبرِ الصّادِقِ، والحُكْمِ العادِلِ، إنّا كنّا مِن قبْلِ نُزولِ القُرآنِ على محمَّدٍ ﷺ موحِّدينَ للّهِ تعالى، مُنقادينَ لطاعتِه، مُؤمِنينَ بنُبوَّةِ رسوله ﷺ؛ فلهذا بادَرْنا

مِن حَقِّ المُقْتَدَى بـه زيـادةُ التَّـفـصـيـلِ في شأنه

(1) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (حسن).
(2) الرّاغب، المفردات: (حسن).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حسن).
(4) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 625.
(5) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة: (سوأ).
(6) الزّبيديّ، تاج العروس: (سوأ).
(7) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (سوأ).

إلى الإذعانِ للحَقِّ، وآمَنّا بهذا القُرآنِ، أولئك الَّذين تقدَّمَت صِفتُهم - الَّذين يُؤمِنونَ بكِتابِهم وبالقُرآنِ - يُؤتيهمُ اللهُ ثوابَهم مُضاعَفًا؛ بسبَبِ صَبرِهم على العَمَلِ بهما، وعلى ما يَلْقَونَه مِنَ الأذَى، ومِن صِفاتِهم أنَّهم يَدفَعونَ السَّيِّئَةَ بالحَسَنةِ، وممّا رَزَقْناهم مِنَ الأموالِ يُنفِقونَ في أوجُهِ البرِّ والخَيرِ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنى (الواو) في: ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ﴾:

مِـــن عـظـيـم الإحسان تفصيلُ شـأن المحسنين للمُسيئين

عطفَ النَّظمُ الجليل قولَه جلَّ شأنه: ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ﴾ بالواو العاطفة[2]، على الجملة الواقعة صلةً للموصول في قوله تعالى: ﴿ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾؛ وذلك لجمع صفاتهم التي استحقّوا المدحَ بها، تقريعًا وتعريضًا بالمعرِضين عنِ القرآن، والأحسنُ أن تكون هذه الجملة: ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ﴾ معطوفةً على خبر الموصول، وهو قوله تعالى: ﴿هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾؛ لأنَّها في حُكم الخبر عنهم أيضًا؛ بقرينة أنَّ الجملة المعطوفة معلَّلة بقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾، وهذا التَّعليل مِن تمام قولِه تعالى في الآية السابقة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾، والثّاني مُؤكِّد للأوَّل، معَ اشتمال الثّاني على جديد من المعنى - لا محالة - وأمّا قولُه تعالى: ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ﴾؛ فهو تفصيل في بيان إيمانهم، فهو مِن تمام قوله تعالى: ﴿هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾، وهو مؤسَّسٌ على قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ﴾، فبين المعطوفِ والمعطوف عليه توسُّطٌ بيَن الكمالَين؛ للالتقاء في أكثر مِن عنصر، كما هو ظاهرٌ.

(1) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 278، والواحديّ، التّفسير الوجيز، ص: 821، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 13/ 297، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 244.

(2) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 10/ 272.

نُكْتَةُ تقييدِ التِّلاوة بـ (إذا):

لسبق عِلمِهم بالقرآن يَسْعَون إلى سماعه مِن أيِّ تالٍ

آثَرَ النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بأداة الشَّرط (إذا) دون غيرها في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ﴾؛ وذلك لتَحَقُّقِ الشَّرطِ ووقوعه، فوقوعُ التِّلاوةِ وما يتبعها مِنَ الإيمان بالقرآن أمرٌ قد وقع على وجه الحقيقة، وليس أمرًا احتماليًّا، ولا ممتنعًا، وفي (إذا) إشارةٌ لطيفة إلى معنى كمالِ رغبة المُحَدَّث عنهم في سماع تلاوة القرآن، فمِن شأن مِثْلِهم أن يُتْلَى عليهم القرآنُ - لا محالةَ - بقرينة بناء الفعل ﴿يُتْلَىٰ﴾ لما لم يُسَمَّ فاعلُه.

دلالةُ بناء الفعل ﴿يُتْلَىٰ﴾ للمفعول:

المؤمنون لا يزيدهم سماعُ القرآنِ إلّا إيمانًا ويقينًا

آثَرَ النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالفعل المبنيِّ للمفعول في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ﴾؛ لأنَّ إعلان إيمانهم يتحقَّق بمطلق التِّلاوة لا بكونها من تالٍ معيَّن؛ ولأنَّ التِّلاوة لا تضيف إليهم شيئًا في أصل الإيمان؛ لأنَّهم قد آمنوا بالقرآن وبمَن جاءَ به مِن عند الله، وهو نبيُّنا محمَّد ﷺ؛ لأنَّهم علموا بهما مِن خلال التَّوراة أو الإنجيل، أو مِن خلالهما جميعًا، وللتَّنبيه على أنَّ القرآن يدلُّ بنفسه على صدقه، وعلى مصدره؛ مِن خلال معانيه، وصور معانيه؛ مِمَّا لا يكون في مقدور بشر.

نُكْتَةُ تقييد التِّلاوة بقوله: ﴿عَلَيْهِمْ﴾:

أهلُ الإيمان يُنزِّلون أنفسَهم منزلةَ المقصود عند تلاوة القرآن عليهم

قيّد النَّظمُ الجليل التِّلاوةَ بقوله: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ﴾؛ للإشارة إلى أنَّهم عند سماع تلاوته يُنزِّلون أنفسهم منزلةَ أنَّهم المقصودون بما يُتلى عليهم في المقام الأوَّل، وهذا يعني عظيم رغبتهم في سماع التِّلاوة، وكمالَ إقبالهم عليها.

لطيفةُ التَّعبيرِ بالماضي ﴿ءَامَنَّا﴾:

آثَرَ النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالفعل الماضي عنِ الإيمان في قوله جلَّ

شأنه: ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ﴾ دون أن يقولوا: (نؤمن به)؛ للدَّلالة على تحقُّق إيمانهم الآن، أو أنَّ إيمانهم به قد وقع سابقًا، وأنَّه مُتحقَّقٌ قبلَ التِّلاوة الآن، وإنَّما قولُهم ذلك الآن إنَّما هو إعلانٌ لما كان راسخًا في القلوب، ووراءَ صيغةِ المُضي إيماءَةٌ لطيفة إلى فرحهم وسعادتهم بتحَقُّق إيمانِهم مِن قَبْلِ سماعِ هذه التِّلاوة؛ فهي فرحةُ السَّبْقِ وسعادتُها.

استقرَّ الإيمانُ في قلوبهم وتحقَّق قبلَ نزولِه وتلاوته عليهم

نُكْتَةُ تقييد بالجارِّ والمجرور ﴿بِهِۦٓ﴾:

قيَّد النَّظمُ الجليل فعلَ الإيمان بشِبه الجملة في قوله جلَّ شأنه: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦٓ﴾؛ لأنَّ سياق ذِكْر الإيمان جاء لبيان الإيمان بالمَتلوِّ، لا مطلقِ الإيمانِ، فلو قال: (آمنّا)، بلا قيد (به)؛ لدلَّ على الإيمان العامِّ، ولم يكن منسجمًا مع سياق الآية وما قبلَها، والمُراد بيانُ أنَّهم آمنوا بالقرآن المَتلوِّ عليهم.

الإيمانُ بالقرآن شرفٌ، وأيُّ شرفٍ هو!

معنى (الباء) في القيد ﴿بِهِۦٓ﴾:

عبَّر النَّظمُ الجليل بحرف الجَرِّ (الباء) في قوله جلَّ شأنه: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ﴾، وهو يدلُّ على الإلصاق، أي: إنَّ إيماننا التصق به، وفي ذلك تقويةٌ لوقوع الإيمان به، وفي التَّعبير بالباء معنى: أنَّ إيمانهم يتعلَّق بالقرآن جملةً وتفصيلًا؛ فهُم آمنوا بمُحْكَمِه، وبمُتشابهِه، وبمَكِّيِّه ومَدَنيِّه، وبغَيْبِه، وبكلِّ شيء فيه، ولو قالوا نحو: (آمنا له)؛ لما كان ذلك.

آمنوا بالله على مُراد الله في كمال انقيادٍ له تعالى

عِلَّةُ فصلِ جملة ﴿إِنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾:

فصلَ النَّظمُ الجليل قولَه جلَّ شأنه: ﴿إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ﴾ عمَّا قبلَه؛ لأنَّه تعليلٌ لما قبلَه على جهة الاستئناف البيانيِّ، على تقدير أنَّ سائلًا قال: ولماذا آمنتم به؟ فكان قولُه: ﴿إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ﴾ ملاحظًا السُّؤال عنِ الإيمان به.

حسموا موقفَهم مِنَ القرآن بتقرير الإيمان به؛ لأنَّه الحَقُّ

غرضُ التَّوكيد في ﴿إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ﴾:

بيانُ أنَّ إيمانهم كـان عـن علـمٍ ودرايـــة لا عـن تقليدٍ وهوى

أكَّد النَّظمُ الجليل مضمونَ الجملة في قوله جلَّ شأنه: ﴿إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ﴾؛ لبيان أنَّ إيمانَهم به إنَّما وقع؛ لتأكُّدهم من كونهِ حقًّا، وهذا يُبيِّن أنَّ إيمانهم لم يكن إلّا عن علمٍ ودراية، لا عن تقليد وهوًى، ولأنَّ الذين قالوا: ﴿ءَامَنَّا﴾ قال اللّهُ فيهم من قبلُ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ﴾، ومَن كان على دينٍ لا يَكادُ يُصدَّق رجوعُه عنه، فكيف إذا كان أصلُه حَقًّا مِن عند اللّه[1]، ويصِحُّ أن يكون التَّوكيدُ ناظرًا إلى ذات معنى الجملة؛ لِلَفت المُعْرِضين عن القرآن إلى عظيم قيمته وأهمّيَّته في نفسه.

دلالةُ تعريف الكتاب بـ ﴿ٱلۡحَقُّ﴾:

وصْفُهم القرآنَ بـأنَّـه الـحَـقُّ، حَـسـمٌ وفـصـلٌ في الـبـيـان عـن إيمانهم

أخبر النَّظمُ الجليلُ عن القرآن بأنَّه حقٌّ في قوله جلَّ شأنه: ﴿إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ﴾؛ للدَّلالة على أنَّهم لن يرجعوا إلى غيره، فكونُه حقًّا يدلُّ على شِدَّة التزامهم به؛ وللدَّلالة على أن مِثْله مِن شأنه أن يُقْبَلَ عليه، ويُتَمسَّكَ به، وإنَّما عرَّفه بالألف واللّام؛ للدَّلالة على كماله، فهو الحقُّ كلُّه، ولا حَقَّ وراءَه، وهو الحقُّ الكامل، وما سواه باطل[2].

الموقع الإعرابيُّ لقوله: ﴿مِن رَّبِّنَآ﴾:

كلُّ ما جاء مِنَ الله تعالى فهو واجبُ الاتِّباع

قولُه: ﴿مِن رَّبِّنَآ﴾ جارٌّ ومجرور، ومضافٌ ومضافٌ إليه، وهو متعلِّق بمحذوف، هو وصفٌ للحَقِّ، أي: إنَّه الحَقُّ الكائنُ من ربِّنا، وفائدتُه: الدَّلالة على مبدأ ورودِه وصُدورِه، وفي ذلك دلالةٌ على وجوب التَّصديق به واتِّباعِه، كما أنَّ فيه تفخيمًا لشأنه وتعظيمًا له.

دلالةُ التَّعبير بعنوان الرُّبوبيَّة في ﴿مِن رَّبِّنَآ﴾:

الـقـرآنُ محضُ إحسانٍ من المَلِك المَنّان

آثَرَ النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بلفظ الرُّبوبيَّة في قوله جلَّ شأنه: ﴿إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ﴾، دونَ أن يقال: (من اللّه)؛ للإشارة إلى تضمُّنه

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 5/ 500.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 314.

الخيرَ للعباد، وأنَّه قائمٌ لرعايتهم وإقامة حياتهم على أحسن الوجوه، فهو امتدادٌ للإحسان المتأتّي منَ الرَّبِّ الكريم، وفيه أيضًا إشارةٌ إلى خصوص إحسانه تعالى إليهم؛ بأن بيَّن لهم كونَه حقًّا كائنًا مِن ربِّهم، فتلك نعمةٌ جليلة.

دلالةُ الإضافة في ﴿رَّبِّنَآ﴾:

أضاف النَّظمُ الجليل لفظَ الرَّبِّ إلى ضمير المتكلِّمين في قوله جلَّ شأنه: ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ﴾؛ للإشارة إلى سابق الإحسان من إنزال الكتب التي اختصَّها بهم، فهو ذاتُ الإله الذي أكرمنا بإنزال الكتب سابقًا، فإنَّه يُتِمُّ علينا إحسانَه بهذا الحقِّ، وفي الإضافة تشريفٌ لأنفسهم بهذا الاتِّباع والانتساب.

المُحْسِنُ بإنزال التَّوراة والإنجيل هو المُحْسِن بإنزال القرآن

عِلَّةُ فصلِ جملة ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ﴾ عمّا قبلَها:

فصلَ النَّظمُ الجليلُ الجملةَ في قوله جلَّ شأنه: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ﴾ عمّا قبلَها؛ لأنَّها مستأنفةٌ استئنافًا بيانيًّا، فلمّا وقع الاستئنافُ التَّعليليُّ البيانيُّ في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ﴾؛ أتبعَهُ بالاستئناف البيانيِّ لقوله تعالى: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦٓ﴾؛ لأنَّهم أرادوا بيانَ زمانِ إيمانِهم به، فلمّا كان يحتمل أن يكون إيمانًا قريبَ العهدِ وبعيدَه؛ أخبروا أنَّ إيمانَهم به قديمٌ؛ لما قرَؤوا في كُتبهم من أوصافه[1]، فقولُه: ﴿إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ﴾ جوابٌ عن سؤال مُقَدّرٍ، هو: لماذا آمنوا به؟ وقولُه: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ﴾ جوابٌ عن سؤال مقدَّرٍ، هو: لماذا آمنوا به عند سماع تلاوتِه؟.

هـؤلاءِ في غاية البصيرة من أمره

غرضُ التَّوكيد في جملة ﴿إِنَّا كُنَّا﴾:

أكَّد النَّظمُ الجليل الخبرَ في قوله جلَّ شأنه: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ﴾؛ لتأكيد سَبْقِ إيمانهم به، وأنَّ رسوخَهم في الإيمان والإسلام غيرُ قابلٍ للشَّكِّ، وفي ذلك تزكيةٌ لمورد إيمانِهم بهذا

من كمال النِّعمة عليك أنْ تُحِسَّ بكونها نعمةً لك

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 421.

الكتاب الجديد، وفيه أيضًا: دلالةٌ على اغتباطِهم بالقرآن اغتباطًا يوجِب شكرَ مُنَزِّله ﷻ[1].

دلالةُ التَّعبير بالكون، وكونُه ماضيًا:

لتأكيد قِدَمِ إسلامهم وسَبْقِه ورُسوخِه

عبَّر النَّظمُ الجليل بفعل الكون في قوله جلَّ شأنه: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾؛ للدَّلالة على رسوخ الإسلام في قلوبِهم، وأنَّ إسلامَهم الرّاسخ قديمٌ، ليس حادثًا بسماع التِّلاوة[2]، والتَّعبيرُ عن ذلك بالفعل الماضي لتأكيد قِدَمِه وسَبْقِه ورُسوخِه.

دلالةُ التَّقييد بقوله: ﴿مِن قَبْلِهِۦ﴾، وتقديمِه، وبلاغةُ الإيجاز بالحذف في ﴿قَبْلِهِۦ﴾:

ذِكْرُ الابتداء تأكيدٌ على حدوث الإيمان قبلَهُ، وأنَّه مُتقادم العهد

عبَّر النَّظمُ الجليل بحرف الجرِّ ﴿مِن﴾، في قوله جلَّ شأنه: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾؛ للدَّلالة على زمان ابتداء إيمانِهم، أي: بدأ إيمانُنا به قبلَ نزولِه بزمان يسير، فَذِكْرُ الابتداء تأكيدٌ على حدوث الإيمان قبلَهُ، وفي ﴿مِن﴾ إشارةٌ إلى أنَّ مَن صَحَّ إسلامُه - ولو في زمن يسير - أذعنَ لهذا الكتاب[3]، ولمّا كان غرضُهم بيانَ كونِ إيمانِهم بالقرآن أمرًا متقادِمَ العهد؛ لِما شاهدوا ذِكْرَه في الكتب المُتقدِّمَة، وأنَّهم على دين الإسلام قبل نزول القرآن[4]؛ كان مِنَ البلاغة والإبلاغ في تحقيق ذلك ذِكْرُ هذا القيد: ﴿مِن قَبْلِهِۦ﴾، وتقديمُه على خبر الكون: ﴿مُسْلِمِينَ﴾، وقولُه: ﴿قَبْلِهِۦ﴾ على تقدير مضاف محذوف، أي: مِن قبل نزوله[5]، وفي ذلك إيجازٌ في التَّعبير؛ اكتفاءً بظهور المعنى من السّياق، أو يكون التَّقدير: (مِن قبل سماعه)، أو (مِن قبل تلاوته).

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 5/ 500.
(2) ابن جزي، التّسهيل لعلوم التّنزيل: 2/ 115.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 5/ 500.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 300.
(5) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 18.

دلالةُ التَّعبير بقوله: ﴿مُسْلِمِينَ﴾ مادَّةً وصيغةً:

آثَرَ النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بلفظ الإسلام دون الإيمان في قوله جلَّ شأنه: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾؛ للدَّلالة على الخضوع وسبقِ الاتِّباع، والإشارة إلى كونهم مسلمين متَّبعين للدّين الذي جاء به الرُّسلُ جميعًا، فإنَّ التَّوحيد هو الإسلام، كما قال تعالى حكاية عن إبراهيم: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة: 132][1]، ودلَّت صيغةُ اسم الفاعل: ﴿مُسْلِمِينَ﴾ على ثبوت الإسلام فيهم ورسوخِه، وأنَّه لا يتغيَّر بمرِّ الزَّمان، وفي إطلاقِ هذه اللَّفظة ﴿مُسْلِمِينَ﴾ دون تقييدها بشيء إشارةٌ إلى أنَّهم منقادون غايةَ الانقيادِ لما جاءَهم مِن عند الله، وافقَ هواهم وما ألفوه أو خالَفَهم[2]، وهذا ترَقٍّ في بيان إسلامهم، فصيغةُ اللَّفظة مترتِّبةٌ على مادَّتِها.

إعلانُهم خضوعَهم ومتابعتَهم للدّين الذي جاء به الرُّسل جميعًا

عِلَّةُ فصل جملة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ﴾، وسِرُّ التَّعبير باسم الإشارة:

فصلَ النَّظمُ الجليل جملةَ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ﴾؛ لأنَّها مستأنَفَة؛ لبيان جزائهم بعد بيان إيمانِهم بكُتُبِهم السّابقة وإيمانهم بالقرآن، وفي التَّعبير بـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ استحضارٌ للصِّفات السّابقِ ذِكْرُها، أي: أولئك الموصوفون بما سبق[3]؛ للإشارة إلى أنَّهم جديرون بما بعدَ الإشارة؛ بسبب اتِّصافهم بما قبلَها، فما قبلَها عِلَّةٌ في المعنى لما بعدَها، وكونُ الإشارة للبعيد: يدلُّ على بُعْد مكانتهم، وعُلوِّ رتبتِهم؛ تمهيدًا لذِكْر عُلوِّ جزائهم وسَعَتِه.

مِن عادات القرآن شَفْعُ العملِ بذِكْر جزائِه

دلالةُ التَّعبير بقوله: ﴿يُؤْتَوْنَ﴾ مادَّةً وصيغةً:

آثَرَ النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بـ (الإيتاء) في قوله جلَّ شأنه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾؛ للدَّلالة على أنَّ ذلك الجزاء يأتيهم سهلًا بلا معوِّقات، ووراءَ السُّهولةِ معنى الكثرة، وهو المقصودُ بقرينة قوله:

لا يستوي المحسنون والمُسيئون

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 144.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 5/ 500.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 18.

﴿مَّرَّتَيْنِ﴾، وإنَّما بنى ﴿يُؤْتَوْنَ﴾ للمفعول دون الفاعل؛ لأنَّ المقصود الاهتمامُ بالإيتاء، لا بكونه من معيَّن، كما أنَّ المُؤتي معروفٌ، وهو اللّٰهُ تعالى، فعَدَمُ إيرادِ ذِكْره إيجازٌ بالتَّعويل على ظهور معرفته[1]، وقد نبَّه تعالى بإيراد الفعل مضارعًا على كثرة هذا الأجرِ وغزارتِه وتَعَدُّدِه وتَنَوُّعِه؛ حيثُ يَتجَدَّد لهم إيتاءُ أجرٍ مستمرٍّ.

نُكْتَةُ إفراد لفظ ﴿أَجْرَهُم﴾ وإضافته إلى الضمير:

سبحانَ مَن وفَّقَ للإيمان والعملِ بـه، وجـازَى المـوَفَّـقَ وأثـابَـه عليه

أفرد النَّظمُ الجليل لفظَ الأجر في قوله جلَّ شأنه: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ﴾، مع كون المُحدَّث عنهم جماعةً؛ للدَّلالة على أنَّ كلَّ واحد يأتيه أجرُه وافيًا، أو لكون المُراد به المصدرَ، أي: يُؤْتَون الأجرَ المستحقَّ لهم، وهذه عِلَّةٌ مُصَحِّحَة لا مُرَجِّحَة، وفي الإفراد أيضًا: إشارةٌ إلى خصوصيَّةِ هؤلاء المُحَدَّث عنهم، فهم طائفةٌ خاصَّةٌ مِنَ الخواصِّ، لهم أجرُهُم الخاصُّ بهم، فهو وإن كان مِن جنس أجر أهل الإيمان، إلّا أنَّ فيه خصوصيَّةً لهم، جعلَتْهُ فردًا وحده، وفيه أيضًا: إشارةٌ إلى استواء أجرِ هؤلاء، أو تقاربِهم في الأجر إلى حَدٍّ يُقارِب التَّساويَ فيه، وهذه الدَّلالة مبنيَّةٌ على الدَّلالة السّابقة، ومِمّا يُقَوّي ذلك الفَهْمَ إضافةُ الأجر إلى ضميرهم، فهو أجرٌ يشاكلُ أحوالَهم وأعمالَهم وإيمانَهم، إذًا فهو أجرٌ خاصٌّ بهم، وإذا كان لفظُ الأجر يُراد به أنَّ الجزاء مكافأةٌ للعمل؛ ففي التَّعبير بِهِ اعتدادٌ بالعمل؛ لفتًا إلى قيمته، وترغيبًا في الاستمرار والتَّرقّي فيه، فإنَّ في إضافته إليهم إبلاغًا في الاعتداد به؛ وإبلاغًا في الإحسان إليهم والامتنان عليهم، فيَقْوَى لفتُهم إلى نعمة الإيمان والعمل به، وترغيبُهم في ديمومة ذلك منهم.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 5/ 500.

دلالةُ التَّعبيرِ بمفردة المرّة مثنّاةً في ﴿مَّرَّتَيْنِ﴾:

إنَّ الله لا يُضيع أجرَ مَن أحسَنَ، ولو مثقالَ ذرّة

عبَّر النَّظمُ الجليل بتثنية المَرَّة في قوله جلَّ شأنه: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾؛ للدَّلالة على مضاعفة الأجر، فيُضاعَفُ، ويُؤتون أجرَين: مَرَّةً على إيمانهم السّابقِ بكُتبهم، ومَرَّةً على إيمانهم بالقرآن، أو لإيمانهم بالقرآن مَرَّةً غيبًا، ومَرَّةً شهادةً، أو بسبب صبرهم على أذى مَن هاجرَهم مِن أهل دينهم ومِنَ المشركين، فعَبَّرَ عن مضاعفة الأجر ضِعْفَين بالمَرَّتين، فكلُّ إيتاءٍ مرَّة[1]. وذهبَ بعضُ المفسِّرين إلى أنَّ إتيانهمُ الأجرَ مَرَّتين استعارةٌ لمضاعفة الثَّواب لهم؛ لأجل أنَّهم آمنوا بكتابهم من قبل، ثمَّ آمنوا بالقرآن، وبغير ذلك منَ الأسباب، فقد شُبِّهتِ المضاعفةُ بتكرير الإيتاء؛ وإنَّما هو إيتاء واحد، وهذه استعارةٌ تمثيليَّةٌ، وفائدتها: إظهارُ العناية، حتّى كأنَّ المُثيب يُعطي، ثمَّ يُكَرِّر عطاءَه[2].

معنى (الباء) في جملة القيد: ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾:

نالوا ذلك الجزاءَ المضاعفَ بسبب صبرهم على تكاليف الإيمان

عبَّر النَّظمُ الجليل بحرف الجرِّ (الباء) في قوله جلَّ شأنه: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ﴾؛ للدَّلالة على السَّببيَّة، فسببُ مضاعفةِ الأجر صبرُهم وثباتُهم على الإيمان، وعلى أذى مَن نابذهم، وعاداهم؛ بسبب الإيمان بالقرآن[3]، والباء لا تخلو من معنى الإلصاق، فتدلُّ على كمال صبرهم؛ لاستمرار أخذهم وتلبُّسِهم به.

عِلَّةُ التَّعبيرِ بالمصدر المؤوَّل: ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾:

زاوَلوا الصَّبرَ أناةً على حسب ما لاقَوهُ من أذًى وشدائد

آثَرَ النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالمصدر المُؤوَّل من (ما والفعل) في قوله جلَّ شأنه: ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾؛ للدَّلالة على بلوغ الأذى بهم كلَّ مبلغٍ؛

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 5/ 500، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 300، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 144.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 144 - 145.
(3) القاسميّ، محاسن التّأويل: 7/ 527.

فقد أحدثوا الصَّبرَ، وزاوَلوه، والتَّعبيرُ بالحرف المَصدريِّ يُشير إلى عموم ما صبروا عليه على وجه الإفراد، فصبرُهم أنواعٌ، كصبرهم على الأذى الذي يلقونه منَ الكفّار، وغيره من أنواع الصَّبر[1].

نُكْتَةُ حذفِ متعلّق الصَّبر في قوله: ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾:

الأصـــــلُ في الكمال الاتِّساعُ والشُّمول

أورد النَّظمُ الجليل فعلَ الصَّبر خاليًا عن متعلِّقٍ في قوله جلَّ شأنه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ﴾، فلم يُبيِّن ما صبروا عليه، وذلك ليكون شاملًا لكلِّ أنواع الصَّبر، كصبرهم على مقتضَى الإيمان بالتَّوراة والقرآن، وصَبرِهم على مقتضَى الإيمان بالقرآن قبلَ نزولِه وبعدَ نزوله، وصبرِهم على أذى المشركين وقومِهم ممَّن لم يُؤمِن من أهل الكتاب[2]، فغيابُ المتعلِّق يُحقِّقُ كونَه كاملًا عليًّا في بابِه.

معنى (الواو) في قوله: ﴿وَيَدْرَءُونَ﴾، ودلالةُ المضارعة:

الـــصَّـــبرُ مِـــن أمَّهات الأخلاق والأعـــمـــال الصّالحات

عطف النَّظمُ الجليلُ درءَ السَّيِّئةِ بالحسنة في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ على جملة: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾؛ للاتِّساق في الأفعال المضارعة، فيكون ما بينهما اعتراضًا، وإنَّما وقع قولُه: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ مجاورًا لقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ﴾؛ لأنَّ الصَّبر لا يتمُّ إلّا بالاتِّصاف بالمحاسِن، والانخلاع مِنَ المساوئ[3]، ويجوز أن يكون قوله: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ حالًا مِنَ الفاعل في قوله: ﴿صَبَرُواْ﴾، فيكون الحالُ تحقيقًا وتفصيلًا لصبرهم المذكور، وأن يكون معطوفًا بالواو على قوله: ﴿يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾؛ لأنَّ السّياق لذِكْر بعضِ أوصاف كمالِهم في الدُّنيا والآخرة، وقد نبَّه تعالى بمضارعيَّة الفعل: ﴿وَيَدْرَءُونَ﴾ على استمرارهم على ذلك الفعل، فهو خُلُقٌ كريمٌ يتجدَّدُ فيهم؛ كلَّما عرَضَت لهم سيِّئةٌ مِن أحد.

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 292.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 421.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 5/ 500.

معنى (الباء) في القيد ﴿بِٱلۡحَسَنَةِ﴾:

عبَّر النَّظمُ الجليل بحرف الجرِّ (الباء) في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾؛ للدَّلالة على الواسطة، أي: هم يدفعون ما لَقوا منَ الأذى، وما سمعوا منَ الشَّتم بواسطة الصَّفح والعفو عنه[1]، وتدلُّ الباءُ التي لا يبرحها معنى الإلصاق على أهليَّتِهم للإحسان، فهم متلبِّسون بالحسنة، ولذلك درَؤوا بها السَّيِّئة؛ فلم يُفكِّروا، ولم يتردَّدوا.

دفـعُ السَّيِّـئةِ بالحسنة مقامٌ جليلٌ وجميل

دلالةُ التَّعبيرِ بـ ﴿بِٱلۡحَسَنَةِ﴾ و﴿ٱلسَّيِّئَةَ﴾، ومعنى (أل) فيهما:

جاء النَّظمُ الجليل بلفظ ﴿ٱلسَّيِّئَةَ﴾ في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾؛ تعبيرًا عمّا يسمعونه منَ الأذى والشَّتم، وغيرِ ذلك ممّا يندرج تحت كلمة: ﴿ٱلسَّيِّئَةَ﴾، وجاء بلفظ ﴿بِٱلۡحَسَنَةِ﴾؛ تعبيرًا عنِ الصَّفح والعفو عن ذلك الأذى، وغيرِ ذلك ممّا يصدق عليه لفظ: ﴿بِٱلۡحَسَنَةِ﴾، فوصفَ كلَّ عملٍ من تلك الأعمال بوصفِه الحَسَن والسَّيِّئ، و(أل) في لفظتي: ﴿بِٱلۡحَسَنَةِ﴾ و﴿ٱلسَّيِّئَةَ﴾ للجنس، فيشملُ لفظُهما عمومَ الأفعال الحسنة والسَّيِّئة، وإنَّما أفردَ ذكرَهما للدَّلالة على أنَّهم يقابلون كلَّ سيئة بحسنة، فدلَّ بالإفراد على أنَّهم لا ينقطعون عن هذا الوصف، فهم يوقِعونه على كلِّ فعل يأتيهم منَ الأذى وغيره، ففي إفرادِهما تفصيلٌ باستحضار كلِّ حسنة يدفعون بها كلَّ سيِّئة؛ إبلاغًا في مدحهم، وترغيبَ المُتلقّين في الاهتداء بهم.

مَـن صـار حالُه دفـعَ السَّيِّـئة بالحسنة؛ فهو مِنَ المحسنين لا محالةَ

نُكتَةُ تقديمِ الجارِّ والمجرور ﴿بِٱلۡحَسَنَةِ﴾ على المفعول ﴿ٱلسَّيِّئَةَ﴾:

قدَّم النَّظمُ الجليل شِبهَ الجملة منَ الجارِّ والمجرور على المفعول به، في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾، فلم يقل: (ويدرؤون السَّيئة بالحسنة)؛ وذلك لتشريف الفعل الحَسَن والاهتمام به؛ لأنَّه هو مورد تكريمِهم والثَّناءِ عليهم، وإنَّما يثنى

تشريفُ الفعلِ الـحَـسَـن والاهـتـمـام بـه؛ لأنَّـه مـورد التَّكريم والثَّناء

(1) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 20/ 72.

عليهم بفعلهم لا فعل غيرِهم، وكان فعلُهم هو الدَّرْءُ بالفعل الحَسَن، ما يَرِدُهم من أفعال قبيحة من غيرهم، وفيه أيضًا إشارةٌ إلى امتلاء نفوسِهم وقلوبهم بمعاني الإحسان، حتّى لا مكانَ للإساءة فيها، فكانوا مُبغضين للإساءة بُغضًا عظيمًا؛ فذلك الذي كان يحرِّكهم بسرعة وبقوَّة.

معنى (الواو) و(مِن) و(ما) في جملة: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾:

في إنفاقهم معَ الإساءة إليهم دلالةٌ على عُلوِّ صبرِهم وكماله

عطف النَّظمُ الجليلُ الإنفاقَ على دَرْءِ السَّيِّئة، في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾؛ وذلك لأنَّ بعضَ الصَّبرِ ودَرْءِ السّيّئات لا يتِمُّ إلّا بالجود[1]، فجمعَ بينَ الفعلين؛ للدَّلالة على كمالهم، وأنَّهم يأتون بكلِّ ذلك الإحسان والصَّبر والإنفاق، وفي التَّعبير بـ (مِن) إشارةٌ إلى أنَّهم ينفقون بلا إسراف، فإنفاقُهم هو بعضٌ ممّا رزقهم الله تعالى، وهذا منَ الاعتدال المحمود، و(مِن) على هذا تبعيضيَّة، ويجوز أن تكون ابتدائيَّةً، والمعنى: أنَّهم يبتدئون الإنفاقَ ممّا رزقَهم الله العظيم، وفي هذا إشارةٌ إلى أنَّهم - وهم ينفقون - يستحضرون معنى أنَّ النَّفقة مِن رزق الله، وأنَّ الله هو الرَّزّاق ذو القوَّة المتين، سواء أنفقوا قليلًا أم كثيرًا، و(ما) اسم موصول؛ يدلُّ على أنَّهم ينفقون من عموم ما رزقهم الله، ومدُّ الألف في (ما) يمكِّن هذا المعنى، فكلُّ شيء رُزِقوه؛ فإنَّهم ينفقون منه، قليلًا كان أو كثيرًا.

دلالةُ التَّعبيرِ بالرِّزق، وصيغته، وإضافتِه إلى ضمير العَظَمة:

الإنـفـاقُ مقامٌ عـظـيـم، كـان المُـحَـدَّثُ عنهم أهلًا له

عبَّر القرآنُ عنِ الرِّزق بقوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾؛ للدَّلالة على أنَّ رزقهم جارٍ؛ لأنَّ الرِّزقَ هو العطاء الجاري[2]، وفي ذلك توافقٌ بينَ إنفاقهم الدّائم، ورزقِهمُ الجاري، فما دامَ رَزَقَهم؛ فإنَّ إنفاقهم دائمٌ، ونُظِمَ الرِّزقُ فعلًا ماضيًا؛ للإشارة إلى أنَّهم مرزوقون

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 316.
(2) الرّاغب، المفردات: (رزق).

كغيرهم مِنَ النّاس، وأنَّهم يُرزقون رزقًا خاصًّا بهم لا ينقطع؛ لأنَّهم أهلُ صبرٍ وإحسانٍ وكمالٍ، وأُسْنِد الرِّزق إلى أسلوب العَظَمة؛ للتَّنبيه على أنَّهم كانوا على ذُكْرٍ مِن أنَّ الرِّزقَ بيد الله وحدَه.

بَراعَةُ تقديمِ متعلّق الفعل في قوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾:

قَدَّم النَّظمُ الجليلُ شِبهَ الجملة منَ الجارِّ والمجرور، وما تعلَّقت به في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ على الفعل: ﴿يُنفِقُونَ﴾، فلم يقل على الأصل: (وينفقون ممّا رزقناهم)؛ وذلك للدَّلالة على خصوص الإنفاق بالحلال الطَّيِّب، أي: لا ينفقون إلّا ممّا رزقناهم؛ تزكيةً لإنفاقهم، وتحرّيهم الحلالَ في النَّفقةِ.

اللـهُ طـيِّـبٌ لا يُحبُّ إلّا الطَّيِّبَ

دلالةُ التَّعبير بـ ﴿يُنفِقُونَ﴾ مادَّةً وصيغةً:

عبَّرَ القرآنُ بلفظ الإنفاق دون تقييد في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾؛ للدَّلالة على تنوُّع نفقاتهم، فالإنفاق يكون في المالِ وغَيْرِهِ، وقد يكون واجبًا وتطوُّعًا[1]، فدَلَّ ذلك على كثرة إنفاقهم، وجاء فعلُ الإنفاق مضارعًا؛ لتَجَدُّد الإنفاق منهم، وتنوُّعِ المُنفَق، فإنَّ هذا وذاك يكون في وقت بعدَ وقت، وإلى استمراره منهم أيضًا.

عَمَّ إنفاقُهم كلَّ الأوقـات، وكـلَّ الحاجات

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الدَّرْءُ والدَّفْع:

الدَّرْءُ: دَفعٌ أو اندفاعٌ بقوَّة عظيمة، بلا صَدٍّ أو تَدَرُّج[2]، وفلانٌ ذو تَدَرُّؤٍ، أي: قَويٌّ على دَفْع أعدائه[3]، أمّا الدَّفْعُ؛ فيَدُلُّ على تَنْحيَةِ الشَّيْءِ[4]، وقد استُعْمِل الدَّرْءُ في الآية الكريمة للإشارة إلى دَفْع السَّيِّئة بقوَّة، وذلك من خلال مُكافأتِها بحسنة طَيِّبةٍ.

الدَّرْءُ دَفْعٌ بقوَّة واقـتـدار، فهو أخَصُّ مِنَ الدَّفع

(1) الرّاغب، المفردات: (نفق).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (درأ).
(3) الرّاغب، المفردات: (درأ).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (دفع).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والأربعون،
سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والأربعون، سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 41 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-92-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 41 : المجلد الحادي والأربعون، سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-92-1
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-2914887 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»